المبنى الإشاري في تفسير الحروف والانتقال من التدوين الى التكوين عند اعلام التفسير الإشاري الجزائري

(احمد بن مصطفى العلاوي أنموذجا)

بحث من إعداد: أد الزهرة لحلح.

الملخص

تعالج المادة المعرفية لهذا المقال المبنى الإشاري لتفسير الحروف بالقرآن الكريم بتفسير الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي الذي احتفى بجدل العبارة والإشارة وفق فضول وخطوات كانت العبارة خلالها ميثاقا للعلوم الخاصة ولسان الروح الذي ينطق بجدل لغة التأويل والبعد الأنطولوجي بها بين أصناف الحقيقة وأهلها كخاصة وعامة أهل الباطن والإشارة وأهل العامة والعبارة هذه الأخيرة التي استودع بها مراتب الوجود وأسراره بلغة الإشارة.

الكلمات المفتاحية: أحمد بن مصطفى العلاوي، الإشارة، الباطن، التفسير، الحروف، انطولوجي

Summary:

The cognitive material of this article deals with the indicative building of the interpretation of the letters in the Holy Qur'an with the interpretation of Sheikh Ahmed bin Mustafa Al-Alawi, who celebrated the controversy of the phrase and the sign according to the curiosity and steps during which the phrase was a charter for the special sciences and the tongue of the spirit that speaks the controversy of the language of interpretation and the ontological dimension in it between the types of truth and its people as private and general people of the esoteric and the sign And the people of the common people, and this last phrase, with which he clarified the ranks of existence and its secrets, in sign language.

Keywords: Ahmed bin Mustafa Al-Alawi, sign, subconscious, interpretation, letters, ontology

المقدمة:

ينصرف موضوع الدراسة إلى استجلاء المبنى الإشاري في اتجاهات التفسير لدى أعلام الجزائر في هذا الفن وتحديدا الشيخ أحمد مصطفى العلاوي في تعاطيه مع هذا النوع من جدل العبارة والإشارة في آي القرآن الكريم بحكم تكوينه الذوقي ومسلكه الصوفي كشيخ للطريقة العلاوية بمستغانم وهذا ما مكنه من استنطاق العبارة بلغة الإشارة ولسان الروح في مصنفاته التفسيرية كالبحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور وكذا منهل العرفان في تفسير البسملة وغيرها في اعتماد على شديد على جملة من الضوابط أسماها الفصول المتوخاة في التصدي للتفسير المركزة على استحضار واستصحاب المعنى الظاهر من منطوق الآي الكريم احتراما واعترافا بتحيز هذه المعاني الظاهرة المستفادة من منطوق الآي للعامة من الناس دون إنكارها بتجاوزه لسياق الحقيقة الباطنة بطريق الإشارة ولسان الروح كما يسميها هو في فصول ومراحل عملية التفسير لديه التي ارتأينا التركيز فيها على جدل التكوين والتدوين بها أين تمت مناقشة وتوضيح البعد الانطولوجي لحروف البسملة وبعض آي القرآن الكريم ليتم الانتقال في المنظومة المعرفية للشيخ العلاوي من لغة الحروف إلى المبنى التكويني الإشارة كوحدة الشهود وصلة مراتب الوجود بالحقيقة الإشارية إلى حدود هذا الكلام نصل إلى إشكال الدراسة.

إشكال الدراسة

كيف تمت المعالجة الإشارية لحروف القرآن الكريم في المنظومة الذوقية للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي؟ وكيف انتظم البعد الانطولوجي للحروف مع المبنى الإشاري لتفسيرها أو بمعنى أدق كيف انتقل العلاوي في تفسيره للحروف من التدوين إلى التكوين؟

المبحث الأول: ترجمة ومفاهيم

المطلب الأول: ترجمة الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى العلاوي بن مُحَّد بن أحمد المكنى بأبي العباس ابن عليوة ولد بمدينة مستغانم يوم 13 أكتوبر 1874م الموافق لـ 2 رمضان 129 هـ نشأ الشيخ العلاوي في أسرة محافظة عرف عنها العلم والورع وقد كان الذكر الوحيد عند والديه بين بنتين، تكفل والده بتعليمه مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم ثم كان أن دعته ضرورة العيش بعد وفاة والده إلى التردد بين مهن عديدة

ليستقر على صناعة الخزازة ومنها إلى عالم التجارة بالموازاة مع طلب العلم وإدمان المطالعة لساعات متّأخرة من الليل حرصا على الموازاة مع طلب العلم والنهل من ينابيعه الفياضة، وهذا ما مكن له بفضل تلك الهمة العالية على التبحر في معارف عصره التي تعمقت لديه بإطلاعه على التراث الصوفي وانتسابه إلى أهل التصوف حيث تذكر المصدر أنه كان دوما في شوق كبير لتحصيل المعارف الدينية بجهده الخاص وحضور الدروس في الجامع الكبير بمستغانم أين أخذ العلم عن الشيخ علال مُحَّد ولد مصطفى إمام المسجد الذي كان يقدم دروس الفقه والتوحيد أين كانت تدرس من منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي وقد شهد له مشايخه بالورع والعلم حيث يذكر مُحَّد بن الحاج علال مفتى تلمسان «أشهد وأتحقق بأنه كان يتقي الله يخشاه من صغره ولم أسمع عليه إلا ما يسر في دينه وكان يحضر في بعض دروسا خصوصا علم التوحيد والمرشد المعين في الفقه وغيرها وكنت أبصر فيه في ذلك الوقت بنور الله لوائح الصلاح فكنت أقول له ليتك اشتغلت بالعلم لحسن سؤاله وآدابه فحقق الرجاء فيه» [1].

أما عن تكوينه الروحي فقد كان الشيخ العلاوي قبل أن يتخذ الشيخ البوزيدي شيخا مريدا في الطريقة العيساوية لكنه ترك هذه الطريقة بفعل ورعه الديني وتحفظه على ممارسات هذه الطريقة كالتظاهرات الاستعراضية القائمة على تعذيب الجسد لكنه احتفظ بأوراها وهنا تبدي له هو وصديقه بن عودة بن سليمان ضرورة اتخاذ شيخ مربي فاهتدوا إلى الشيخ مُحَّد البوزيدي المستغانمي شيخ الطريقة الدرقاوية بمستغانم الذي تعمده بالتربية والرياضيات الذوقية حتى برزت خصوصيته وصدقه فانتهى سلوكه بالإشراف على الطريقة الدرقاوية بعد وفاة شيخه البوزيدي سنة 1909م أين استقل بالطريقة وانتسب اسمها إليه إلى أن وافته المنية سنة 1934م مخلفا نصيبا مشرفا من التلامذة والمؤلفات في كل فنون العلم.

تلامذته: من أبرز تلامذته

الشيخ عدة بن تونس الذي ولد سنة 1898 وهو مهر الشيخ الذي نهل على يديه من كل أصناف العلوم وشتى الرياضيات الروحية وقد كان تولى خلافة الطريقة فنحى بها إلى التجديد والتبليغ فأنشأ جريدتي "لسان الدين" وكذا "المرشد" وأسهم في نشر معظم التراث المخطوط الذي خلفه شيخه أحمد بن مصطفى

[1] –مُحَّد بن عبد الباري، الشهائد والفتاوي فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي [تونس، ط1، المطبعة التونسية، 1925]، ص 25 وأنظر رزقي بن عومر، نادية درقام، الممارسة الدينية والسياسية في حياة الشيخ العلاوي [مقال بمجلة الحوار المتوسطية جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد التاسع، العدد 2، ص 453.

العلاوي وبعد وفاته 1952 عهد بالطريقة لابنه مُحَمَّد المهدي بن تونس [1].

مؤلفاته: لقد خلق الشيخ العلاوي العديد من المصنفات في كل مشارب الفنون والعلوم نذكر منها:

- البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور.
- أعذب المناهل الأجوبة والرسائل.
- الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية .
- القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد.
- منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من الفرات.
- مظهر البينات في التمهيد بالمقدمات.
- مفتاح الشهود في مظاهر الوجود[2]

المطلب الثاني: التفسير الإشاري

1-الإشارة لغة واصطلاحا

أ- الإشارة لغة تعني الإيماء باليد أي يومئ باليد والرأس أي يأمر وينهى بالإشارة ويقال شورت إليه بيدي وأشرت إليه أي لوحت إليه وأشار عليه بالرأي وأشار يشري إذا ما وجه الرأي وذكر الليث أن المشورة مفعلة مشتقة من الإشارة فيقال مشورة ويقال فلان وزير فلان وشيره أي مشاورة وجمعه شوراء وأشار النار وأشار بها وأشور بها وشوربها: رفعه [3].

---

[1] -البحيصي عوض الله بن حسن مصطفى، من أعلام الإصلاح الديني الشيخ عدة بن تونس المستغانمي [مستغانم، ط1، المطبعة العلاوية، 1995م]، ص 715.

[2] -لطرش عائشة، ملامح التصوف الجزائري [مذكرة ماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة الفلسفة]، ص 81.

[3] -ابن منظور، لسان العرب [بيروت، لبنان، دار صادر]، ج5، ص 437.

ب-أما الإشارة اصطلاحا: فهي ما يخفى عن المتكلم كشفه للعامة للطافة معناه وإخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللسان [1].

والإشارة قسمان: إشارة حسية وإشارة ذهنية، أما الأولى فتكون في معاني أسماء الإشارة في حين تنصرف الإشارة الذهنية إلى ما يتضمنه الكلام في معانيه الكثيرة بحيث لو عبر عنها لاحتاجت لألفاظ كثيرة[2].

التفسير الإشاري «هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس ممن نوّر الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر من الآيات الكريمة»[3] .

وهذا يعني أنه ينصرف إلى تأويل آيات القرآن على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف حيث يمكن الجمع بينهما وبين الظاهر، ويعتمد هذا الصرف على مبرر وجود إشارة خاصة في نص الآية ولا تظهر تلك الإشارة من جهة أخرى لغير قوم يعدون من الخاصة هم أرباب السلوك مع ملاحظة أنه صرف المعنى عن ظاهره لا يستلزم دائما منافاة المعنى الظاهر للآية فمهما بدت بينهما المنافاة، وجب الجمع بين المعنى الظاهري والإشاري[4] .

2-مستندات التفسير الإشاري:

يستند الصوفية أصحاب العرفان في مشروعية التفسير الإشاري إلى عدة مرتكزات يشكل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عمدتها وهي:

أ-القرآن الكريم ومحل الشاهدية أن العديد من الآيات الكريمة قد وردت مشيرة إلى أن القرآن الكريم

---

(1) -رفيق العجم، موسوعات مصطلحات التصوف الإسلامي [بيروت، لبنان، ط1، مكتبة لبنان]، ص 62.

(2) -محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن [مصر، ط3، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة]، ج2، ص 03 وانظر أسماء مسعودي، التفسير الإشاري وضوابطه عند الصوفية تفسير سهل ....-أنموذجا-، ص 82.

(3) -محمد علي صابوني، التبيان في علوم القرآن [ط3، دار إحسان للنشر 2003م]، ص 171.

(4) -بلحاج جلول، "المعالجة الصوفية للحقائق القرآنية عند المفسرين الجزائريين [مقال بالمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، 1441هـ-2019م] مج 15، ص 300.

"ظهر وباطن" لأن للقرآن الكريم وجوها لا تنقضي عجائبه من حيث اشتمال معان بأنه على ظاهر وباطن حد ومطلع: فالظاهر حجب والباطن منح وهو أحب ولا يقع على عدومه إلا مفتوح عليه وأما المحجوب فهو ينادي من مكان بعيد ويسمع من وراء حجاب فهو يعيد عن الغاية من ظاهره فكيف بباطنه[1] وعليه ففي القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحمل أكثر من تفسير كقوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّد:24] وكذلك قوله: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 78] والمعنى الآيات أعلاه تشير إلى اشتمال القرآن الكريم على ظاهر وباطن والدليل أن الخطاب المتضمن أنهم لا يفقهون حديثا ينصرف إلى المعنى الباطن الذي جهلوه فأمرهم يتدبر القرآن لا هو لا يقصد المعنى الظاهر من حيث أنهم يفهمون لغة القرآن الكريم[2] .

ب–ومن الأحاديث التي يستدل بها أصحاب التفسير الإشاري حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع »[3].

وهو ذات ما يستند إليه الشيخ العلاوي من حيث تأكيده على وجود هذه الأوجه الأربعة في القرآن الكريم تفصيليا لا إجماليا يظهر كل وجه منها في الحرف والكلمة وهي غير متاحة لجميع الخلق وعامتهم بل هي من نصيب أهل الباطن من الخاصة، ومعتمده في هذا قول ابن المبارك في تفسير الحديث أعلاه: «سمعت غير واحد في هذا الحديث ما في كتاب الله أية إلا ولها ظهر وبطن يقول: لما تفسير ظاهر وتفسير خفي ولكل حد مطلع قال: يطلع عليه القوم فيستعملونه على تلك خفي ولكل حد مطلع قال: يطلع عليه القوم فيستعملونه على تلك ولكل حد مطلع قال: يطلع عليه القوم فيستعملونه على تلك المعاني، ثم يذهب ذلك القرن فيجيئ قرن آخر يطلعون منها على معنى آخر» [4].

---

[1] –أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسحور في تفسير القرآن العلاوية، 1982]، ص 17.

[2] –نجم الدين الكبرى وعلاء الدين السمناني، التأويلات النجمية في التفسير الإشاري [بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 2009]، ص 19.

[3] –أخرجه ابن حبان في صحيحه، ترتيب ابن بلبان، تحقيق وتخريج الأحاديث الشيخ شعيب الأرناؤطي [مصر. دار العارف 1952م]، ج1 رقم الحديث رقم الحديث (84)، ص 233، 234 وقد ذكر الأرناؤوطي أن الحديث إسناده حسن وضعفه االألباني في الضعيفة.

[4] – أبو عبد الرحمن عبد الله ابن المبارك، الزهد والرقايق، تحقيق عد الرحمن الأعظمي [بيروت، دار الكتب العملية]، ج2، ص 23.
وأنظر عويبدي حبيبي، جهود أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي [أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، قسم الحضارة الإسلامية 20-2021م]، ص 95.

فالإشارة الصوفية وفق هذا المعنى تمثل معرفة خاصة وعلم مخصوص مصروفة إلى الطبقة الخاصة أو خاصة للخاصة لأنها معان تعدو على تداول العوام ولذا فقد اصطنعوا لها اصطلاحات مخصوصة ضنا بها على غير أهل الخصوص حينا ودفعا لتشنيع التهم عنهم أحيانا أخرى فكانت سببا في غموض الإشارة واعتياصها على الأفهام[1].

ومنه يمكنننا القول أن الصوفية أو أرباب السلوك قد عنوا في تفسيرهم للقرآن باتباع منهج يتماشى مع تجربتهم السلوكية والعرفانية من حيث احتجاب المعنى الباطني الحقيقي وراء الدلالة اللفظية للنص القرآني وقد ظهر هذا النوع من التفسير في القرآن الثالث الهجري ابتداء بشكل تفاسير ومتفرقة بعض الآيات كتفسير سهل بن عبد الله االتستري الذي يعد من أوائل من كتب في هذا النوع وكذا أبي الحارث المحاسبي والجنيد أما بالنسبة لحركة التفسير بالجزائر فقد عرّف تراكم مجموعات من منتج التفسير منه ما يعتمد على تتبع الآيات بإشارات التصوف ومنه ما تضمن بحوثا "لموضوعات صوفية مع اختلاف المعالجة من مجموعة إلى أخرى فنجد مثلا الإمام عبد الرحمن الثعالبي يعتمد الظاهر من المنطوق مع صفاء الصيغة الروحية في بعض الأوامر والنواهي مع حرص شديد على الاستشهاد بمشايخ السلوك الجنيد والإمام الغزالي في ارتكاز على مصادر رجالات الطريق كالرسالة القشيرية ولطائف المنن لابن عطاء الله السكندري بينما يمكننا ملاحظة أن المجموعة الثانية يقف بها جانب التفسير الظاهر إلى حين ما تشير إليه المباحث الذوقية ذات الطابع العملي او التأمل الفلسفي كما هو عند الشيخ العلاوي [2].

3-رأي العلماء في التفسير الإشاري:

رأي بدر الدين الزركشي: يذهب الإمام الزركشي إلى أن كلام الصوفية في تفسير القرآن ليس وانما بالاعتماد على كلمة يلونكم يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه إلى جعل من معنى القرب الذي تشير إليه لفظة ليلونكم مناسبة كافية لصرف الآية عن ظاهرها.

رأي أبي بكر بن العربي: أوضح الإمام ابن العربي رأيه في التفسير الإشاري حينما لم يمنعه إجلاله لشيخه الغزالي في تجاوز المعاني الظاهرة للآيات القرآنية: «وقد كان أبو حامد بدرا في ظلمة الليالي وعقدا في ...المعاني

---

[1] –شطاح عبد الله، جدل التأويل بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة، ص 203.

[2] –أسماء مسعودي، التفسير الإشاري وضوابطه عند الصوفية. تفسير سهل التستري أنموذجا [الأغواط، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، المجلد (3) العدد (1) 2020م]، 80، 81. وبلحاج جلول، المعالجة الصوفية... ص 299، 300.

حتى أوغل في التصوف، وأكثر معجم التصوف فخرج عن الحقيقة وحاد في أكثر أقواله عن الطريقة»[1] .

الشيخ مُحَمَّد بن أطفيش: أما عن الشيخ أطفيش فقد كان واضحا في رفضه لكل معنى من معاني التفسير بالإشارة ويظهر أن هذا الموقف هو رأي عامة مفسري الإباضة من العلماء والمفسرين المعاصرين حيث نجده يتحدث بعد إيراده لتفسير قوله تعالى (الم يجدك يتيما فاوى) أنه ما قيل في تفسير المتصوفة نحو معناه درة يتيمة أي لا نظير لها فأواك إليه أي جعلك في صدفة اصطفاه فإن هذا التفسير ومثله في القرآن لا يجوز.

الشيخ الطاهر بن عاشور: لا يعد الشيخ ما يكتبه المتصوفة حول معاني القرآن الكريم تفسيرا بل هو من قبيل ما تصلح الآية ان تشهد له لأن ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعضّ آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه لذا ينبغي التفريق بين كلامهم والذي يسموه إشارات وبين كلام الباطنية الذين قالوا عنه معاني وبهذا نجد ابن عاشور يوافق السيوطي الذين نقل عن ابن عطاء الله في كتابه لطائف المنن كلاما يفرق به بين التفسير الإشاري والباطني: «اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية ودلت عليه في عرف اللسان ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث: لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم ان يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالو: لا معنى للآية إلا هذا وهم لا يقولون ذلك بل يقررون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما ألهمهم» [2].

المبحث الثاني: المبنى الإشاري في تفسير الشيخ العلاوي

يقوم مبنى الإشارة خارج مجالات الإدراك العقلي المجرد وهذا من حيث ان العقل يمثل في المنظومة العرفانية للشيخ العلاوي هيئة علمية محدودة تعتمد على آلات محدودة وهي الحواس الظاهرة والباطنة تعكف على تزويدها بمواد من جنسها أي تلك الصور الجزئية لأشياء العالم الخارجي لذا من غير الممكن تعقل وصول المحدود إلى اللامحدود غذ بينهما بينونة وجودية ومرتبة لا تغترف ولا تختصر فالعارف لا يستطيع قطع المسافة اللانهائية التي تفصله عن الباري بوساطة فهل التعقل لأنه ابتدأ السير منه إليه ليسير أولا لله ثم في الله وهذا شيء من وراء العقول خارج عن المعقول والمنقول.

---

[1] –بلحاج جلول، المعالجة الصوفية...، ص 311.

[2] –بلحاج جلول، المعالجة الصوفية...ص 302-304.

هذا الأخير الذي يعني ظاهر النص الديني الذي ينبغي تجاهلها إذ العقل مقدمة إعدادية تهيئ الإنسان لتلقي مضامين ومعطيات النص وما تقتضيه تلك المعرفة لذلك نجد الشيخ العلاوي يحذر من تمادي العقل إلى ما يتجاوز طوره بل يجب عليه الإذعان لرتبة على الأنبياء[1] «ولا يقيس ما عنده من الفكر السقيم على أهل المقام العظيم (الأنبياء والأولياء) القائلين بمعرفتهم للإلهيات أو على سبيل التحقيق فإنهم عرفوا الله بما أودعه فيهم لا بقلم و وقرطاس أو نقول بمنطق وقياس فالحق أعز من أن تتواصل إليه الحواس»[2].

مما سبق تتضح الأهمية التي يكتسيها العقل في المنظومة العرفانية للشيخ العلاوي لأنه وهو يشق طريقه نحو المعرفة والفهم والاستنتاج لا بد أن يستصحب البديهيات أو المسلمات هاته الأخيرة التي لا تخول له مطلق السلطة في الحكم على الأشياء. إذ ثمة إطار معرفي لا صلة له بالعقل إلا من حيث التسليم وهو الغيب بصفة عامة لأنه المجال المعرفي الذي تمنح فيه السيادة لقوة النّص لأن العمل لا يسلم من جملة الوساوس والأوهام التي لا تنفك تلاحقه على الرغم من استحضاره لجملة البراهين إلا أن هذا لا يمنعهم توالدها وتنغيص صفو المعرفة عليه مما يستدعي التسليم والتوقف بعيدا عن محاولات الخوض والفهم كما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ومن خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[3] . وهذا ما يؤكد عرضة العقل للهواجس التي لا يفلح في دحضها البراهين والحجج، وهنا ينبغي الاعتماد على الذوق مناط العرفان الذي ينال من الأرواح لا من الألواح من الأذواق لا الأوراق أي يحل الرمز مكان البوح والإشارة مكان العبارة التي تستعصي على غير المخترق بنفسه أسوار العرفان من العوام بل حتى إنها تستغلق على أرباب الحقائق أنفسهم ويستعجم على مورديها حتى اضطر بعضهم إلى تكلف شرحها بما يتناسب مع أفق المتلقين وهذا راجع إلى سببين:

---

[1] –رزقي بن عومر، قضايا في التصوف الجزائري [وهران، ط1، مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر، 2015]، ص 34.

[2] –أحمد بن مصطفى العلاوي، مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، [مستغانم، ط3، المطبعة العلاوية، 1994]، ص 135.

[3] –رواه البخاري ج رقم 3276 كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، م2، ج2 ص 581 ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ح رقم 351، م1، ج1، ص 66 وبألفاظ متعددة وإزاء مسلم في روايته عن أبي هريرة قال رضي الله عنه: «فبينما أنا في المسجد إذ جائني ناس من الأغراب فقالوا يا أبا هريرة: هذا الله فمن خلق الله قال: فأخذ حصى بكفه فرماهم ثم قال: قومو قوموا صدق خليلي» ج1، ص 366.

1-طبيعة التجربة الصوفية التي جنحت إلى ألطف المسائل لبلوغ أسمى غاياتها وهي الذات الإلهية مطلبها ومبتغاها لا تنشد إلا إياه ولا تقف عند ربهم ولا كون ولا مطلع في انكفاء شديد على الذات العارفة في طريقها لإجلاء باطنها وصقله وإعداده لاستقبال الفيوضات الإلهية والمعارف اللادنية التي تفيض وتبرق على قلوب العارفين بالمعاني الرائقة العصية عن إحاطة العبارة لما في العبارة من نفاه بل المعول على الإشارة من عدم التناهي.

2-طبيعة الإشارة الصوفية كفكرة ومعرفة مخصوصة تنصرف إلى أصحابها من الخاصة وخاصة الخاصة الذين حرصوا على معانيهم من تداول العوام وابتدال الأفهام[1] .

وعليه فقد عمد المتصوفة أصحاب الإشارة إلى التمييز بين كيانين هم الظاهر والباطن استثنائية معرفية يستصحبها الشيخ العلاوي في مباحته العرفية مشيرا إلى أن الشريعة هي الطريق والمذهب وهي الطريقة في الدين أي الائتمار بالتزام العبودية التي ترد في مقابلة الحقيقية المعبر عنها بالباطن ولا غنى للباطن عن الشريعة إذ التصوف هو الروح والفقه والجسد إذ لا ظهور له إلا فيه كما أن لا قيام للجسد إلا به إذا الفقه والعرفان لا ينفك أحدهما عن الآخر إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه ولا فقه إلا يتصوف ما دام أن الفقه يعني بشروط حجة العمل أي مشروعيته، لذا فمن الواجب عند حدوث التعارض الشريعة مع الطريقة الالتزام بالشريعة من غير تأويل لأنه لا تعارض بينهما في نفس الأمر لكن في حالة إلتبس على المريد حالة رجوعه إلى صحوه بعد استيلاء الوارد عليه أن يمتثل للشيخ المربي في أمره بالرجوع إلى العمل والتقيد بالشريعة من غير تأويل لظواهرها وفي هذا الأنبياء والولي لا يملك أمام النبي سوى الانقياد فغاية الكمال عند العارف أن يتصالح ظاهره وباطنه بحيث يكون مستسلما لقهر الله في باطنه وممتثلا لأوامره ونواهيه في ظاهره[2] . وفي هذا يقول الشيخ العلاوي: «واما إذا حصل للمزيد ثبات التسرع وثبات في الجمع بأن كان متخلقا

---

[1] -عبد الله شطاح، جدل التأويل بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة [الجزائر، مقال بمجلة فصل الخطاب، المجلد03. العدد02، 2014]، ص ص203-207

[2] -رزقي بن عومر. العرفان عند الشيخ..، ص ص 176-179 وأنظر أحمد جاب الخير، أحمد بن عليوة المستغانمي ومذهبه العقدي والصوفي [قسنطينة رسالة دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة 2018-2019]، ص 120، 121.

بالأخلاق المحمدية والأوصاف الزكية» [1].

يذكر الشيخ العلاوي أن علوم القرآن وما تضمننه آياته من المعارف لا حدود لها وليست في متناول تعاطي العلوم بما تقيده الآيات من الإشارات لأن العوام اكتفوا ببضاعة قليلة هي الأوامر أو القشور دون ما وراء ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وليس في كلام الشيخ العلاوي قدحٌ في مما يفيده الظاهر ومعطياته من جهة المصداقية فيه والكفاية لعموم المتعبدين وما يتقوم به صلاحهم لكن المعول عليه هو المعاني اللطيفة المحصلة من اتساع بحر المعارف ولعله السبب في تسمية تفسيره بالبحر المسجور يريد من إطلاقه هو معنى الاستلاء نظرا للفيوضات الربانية يؤيد هذا تكملة العنوان بعدها بمحض النور أي أن تفسيره لا اجتهاد له فيه بل هي إشارات وفيوضات من إمعان النظر في كتاب الله [2]ينبغي توخي السلامة وتفادي موانعه حال الشروع في التفسير...وهي على النحو الآتي:

1-بقاء الحق وتعدد وجوه القرآن

ومقاد هذا الأصل في تفسير الشيخ العلاوي يتمحور حول أحقية المتأخرين من الأعلام في تناول قضايا الذين وتوضيحها فهو ليس بالأمر القاصر على المتقدمين فحسب بل هي ممكنه للمتأخرين أيضا ويستدل على هذا بأقوال العلماء ومنهم ابن عبد البر في الجامع: «وروى ابن عائشة وغيره أن عليا رضى الله عنه قال في خطبة خطبها: اعلموا أن الناس أبناء ما يحسنون وقد وكل امرئ ما يحس فتكلموا في العلم تتبين أقداركم » ويقال: إنّ قول على بن أبي طالب قيمة كل امرئ ما يحس لم يسبقه إليه أحد وقالوا: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها قالوا: ولا كلمة أضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل ما ترك الأول للآخر شيئا »[3] .

والمستفاد من سوق الشاهد عند الشيخ العلاوي هو أن الوصول إلى معاني جديدة لا تمس بأصوله

---

[1] –أحمد بن مصطفى العلاوي، المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية [مستغانم، ط3، المطبعة العلاوية، 1985م]، ص 217.

[2] –أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور، ج1، ص 12 وكذا عوبيدي حبيبي، جهود احمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي في التفسير، [وهران، رسالة دكتوراه جامعة أحمد بن بلة، قسم الحضارة الإسلامية، 2020، 2021]، ص 84.

[3] –ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري [السعودية، ط1، دار ابن الجوزي، 1414هـ/1994م] باب الحض على استدامة الطلب والصبر فيه على الآراء والنص الحديث رقم 608، ج1، ص 146 وانظر عوبيدي حبيبي، جهود أحمد بن مصطفى العلاوي، ص 93.

توقيفا للحق عند حد لم يوقفه عند الشارع وهو المعنى الذي يجمله الحديث المستدل به من طرف الشيخ العلاوي: «إن الله يبعث لهذه الأمة على راس كلّ أمة مائة سنة من يجدد لها دينها» [1].

ووجه الاستدلال هنا هو اعتبار الشيخ أن الحديث يفيد رأسا في قضايا التجديد بل هو أصل في ذلك أساسه المبحث الأصولي الدقيق التقليد والتجديد قائلا «وفي ظني أن المجدد غير المقلد يأخذ من كتاب الله وسنة رسول الله بحذف الوسائط ولا يأخذ إلا ما يجدد الإيمان»[2] .

والمستفاد من توظيف الشيخ العلاوي لهذه المسألة الأصولية هو

- الكتاب والسنة أصل في التجديد.

- الاقتصار في النظر على ما يجدد الإيمان دون العقائد فهي أصول لا تمس

واستكمالا لهذا الأصل في شقه الثاني وهو أن للقرآن وجوها لا تنقضي عجائبه فكما أصاب القدامى وجوه القرآن أو أحدها فكذلك الأمر بالنسبة للمتأخرين والمحدثين الذين يتعلقون بسابقيهم بدعامة التكملة والتجديد لا على سبيل الترديد والتقليد ويستدل على هذا الأصل يقول السيوطي رواية عن أبي الدرداء قال: «إنّك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها قال حماد: فقلت لأيوب: أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوها «أهو أن يرى له وجوها فيهاب الإقدام عليه قال: نعم هو هذا»[3] ثم أشار إلى حديث «إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا»[4] وتوظيف الشيخ العلاوي لهذا الحديث يرتبط أساسا بالتجديد واختلاف الأجيال في النظر والتحقيق.

2-بعض علوم القرآن للخاصة وعموم خطابه للعامة:

ويقصد بهذا الأصل هو اعتباره بعض علوم القرآن غير مقصورة عموم الناس والسبب يكمن من جهة المعرفة والإدراك وقد استدل على ذلك بما رواه الرازي في تفسيره: «إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا

---

[1] -عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير،+ تحقيق بوسف النبهاني [لبنان، ط1، دار الفكر، 1423هـ-2003م]، رقم الحديث 3543، ج1، ص 328

[2] -أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور، ج2، ص 14.

[3] -عبد الرحمن بن أبي بكر، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، [مصر، الهيئة المصرية العامة 1394هـ-1974م]، ص 15.

[4] -أبو عبد الرحمن عبد الله ابن المبارك، الزهد والرقائق، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي [بيروت، دار الكتب العلمية]، ج2، ص 23.

العلماء بالله فإذا انطقوا به أنكره أهل الغرة بالله»[1] إلا أن هذا الحديث غير مقطوع بصحته لأن ابن تيمية يطعن في اسناده من حيث عدم ثبوته وعدم مرويته في كتب الحديث المعتمدة غير أنه يمكن الجمع بين استدلال الرازي والشيخ العلاوي من حيث موضوع الاستدلال حيث أورده الإمام الرازي كدليل على ما فتح الله تعالى به على عباده في فواتح السور أما الشيخ العلاوي فيجعل من إيراده دليلا على ما فتح الله به على خواص عباده في العلم [2].

3-استمرار تعلق ألفاظ القرآن بالمكلفين

ومضمون هذا الأصل يتعلق بعالمية الخطب القرآني وتعلق أحكامه بالمكلفين من حيث تجاوزها للتاريخية وكذا باعتبار نسخ الشرائع السابقة وقد استدل بما يلي

-إن اختصاص المصحف الشريف بالأمة المحمدية إلى الأمة الإسلامية يجعل وعده ووعيده لهم وعليهم قصرا بما في ذلك كل مسالك الأحكام وهو ما عبر عنه بـ «وهذا وجه كون الكتاب إلينا»[3] ولفظ إلينا يشمل كل أجيال الأمة الإسلامية المقصود بخطاب النسبة لكن عموم خطابه لهم لا يقتضي عموم أسراره لهم، والملاحظ هنا متابعته للقاعدة الأصولية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

-خطابات القرآن الكريم للنبي عليه الصلاة والسلم كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[المائدة: 67] فظاهر الآية إفراد المنادى وأصلها تبليغ المكلفين جميعا وهذه الصيغة تجعل من النبي عليه الصلاة والسلام باسمه في القرآن الكريم كسائر الأنبياء عليهم السلام وفي هذا دليل على تواصل التبليغ بعدد وكشف الأسرار غير علماء وأعلام الأجيال [4].

بالنظر إلى الأصول السابقة يمكننا القول أن الشيخ العلاوي لم يكن يهدف إلى تأسيس منحى يلغي ظاهر النص بقدر ما كان يهدف إلى التأسيس لشرعية معرفية للمنهج الصوفي ورؤيته المعرفية بحيث تكون الإشارة المركوزة في التفاسير الصوفية انفتاحا معرفيا للغة والإشارة الوفية مكنها من استثمار ممكنات الإشارة اللغوية في احترام المعاني.

---

[1] -محمد بن عمر بن حسن الرازي، التفسير الكبير [بيروت، ط3، دار إحياء التراث العربي 1420هـ]، ج3، ص 353.

[2] -عوبيدي حبيبي، جهود أحمد بن مصطفى العلاوي، ص 98.

[3] -أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور، ج1، ص 27.

[4] -عوبيدي حبيبي، مرجع سابق، ص 100.

المبحث الثالث: تفسير الحروف بين التدوين والتكوين

المطلب الأول: البعد الأنطولوجي (الوجودي)للحروف

اللغة في مسار العارفين وكذا الشيخ العلاوي هي حديث البدايات والنهايات لأنها لغة الوجود والكينونة كمرتبة من مراتب تجليات الحق تعال فهو الظاهر في كل مظهر بمرتبة اللبان والتدوين التي يحتفي بها العارف للكشف عن مخبأت الحروف والكلمات في مجال التحقيق الوجودي سواء كان وجودا رقميا أو خطيا فكلاها إشارة إلى الوجود الحق وظهورا بكل ماله علاقة به من صفات وآثار، وبهذا الاعتبار يرى الشيخ العلاوي أن علاقة العارف باللغة هي علاقة اتحاد بالوجود يتجدر وجوديا برزخا بين اللفظ والمعنى يكون خلالها مستجمعا للمعاني الباطنة في الإشارات اللطيفة للظاهر وكذا الألفاظ والأكوان بظاهره لأن فهم معاني الإشار الحروف فهي فيوض من الله عز وجل بدون إعمال فكر ولا توظيف حافظة وهو المستفاد من قوله: «إني جمعت هذه السطور حسبما سمح لي به الشعور ورد في الأثر الفخيم من أن كل ما في الصحف الأولى منطوقي نقطة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» [1].

من النّص أعلاه يمكنّ ملاحظة اتفاق الشيخ العلاوي مع منهج عبد الكريم الجيلي في كتابه الكهف والرقيم في شرح بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في استكشاف المعاني التوحيدية التي تتضمنها حروف البسملة وخلالها عمد الشيخ العلاوي تفسيره للقرآن الكريم من خلال كتابه البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور إلى توضيح وتأكيد الرواية القائلة بأن القرآن أربعة وجوه حد ومطلع وظهر وبطن قائلا «ولا تحسبن هذه الوجوه توجد في كتاب الله من حيث الإجمال، كلا إنما هي في كل آية وكلمة إن لم نقل في كل حرف فالحرف قرآن كما أن عموم الكتاب قرآن ولهذا قال جل وذكره «سنلقي عليك قولا ثقيلا» والذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه» فعبر بالقول دون اللفظ والكلام ليشمل الكلمة والحرف أن القول عام في جميع ذلك فكل جزء من كتاب الله وإن تجزأ فهو تقبل» [2].

لقد حرص الشيخ العلاوي على تقرير رمزية الحروف والأسماء والأعداد فالحروف لها من بواطن الإشارات ما يحيلها إلى كيان معرفي صوفي وخاصة الباء من البسملة فهي تتضمن من القرآن كله أو كما

---

[1] –احمد بن مصطفى العلاوي، منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن [مستغانم، المطبعة العلاوية، ط5، 1997]،ص 18.

[2] – المصدر نفسه، ص 80.

يعبر هو أن الحروف بانفراده قرآن بالنظر إلى ما اشتمل عليه من معان ولذا كانت مرتبة الذات التي يتعين بها الوجود أو نفس الوجود المطلق الذي ليس مع وجوده وجود ولا عدم وكلها مرموزات تشير إلى وحدة الشهود التي تعني عند الشيخ تحلي الحق في كل شيء فهي قوة قاهرة تجعل المشاهد تضمحل في حواس العارف حيث يعيش العارف بها استطراقا في التجلي يلغ معه أن لا يرى شيئا إلا الحق [1].

وهذا تماما كما تشير النقطة إلى أم الكتاب لعدم الكتاب بدونها فهي أصله نشأ الكلمة كما كان منشأ الكلام من الكلمة والكل مندرج تحت وحدة الشهود المعبر عنها بالنقطة فهي أم لكل كتاب﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:39] فالنقطة مستهلكة فيها جميع الحروف قبل تجليها وبعد التجلي لأن الحرف لا وجود له في الحقيقة لأن الحرف لا وجود له في الحقيقة لأن الظاهر هو المداد حتى مع ما يبدو من خصوصية الرسم الذي يأخذه الحرف فهو لا كينونته له دون الحبر الذي هو النقطة إذ...هو ميل النقطة يقول الشيخ العلاوي حول النقطة في تفسير البسملة بالفاتحة «كان النقطة في قبل تجليها بذات الألف وكانت الحروف مستهلكة في كنهها الغيبي إلى أن ظهرت بما بطنت وتجلت بما استترت فتشكلت في مظاهر الحروف»[2]. فالظاهر إذا هو المداد وهو النقطة والباطن هو الحرف الذي له وجود معقول اعتباري غير حقيقي وهكذا الأمر في الوجود فالوجود الحقيقي هو للحق أما الخلق فهم محض اعتبار بل هو وهم فلا موجود لله الله الحق وليس يعني بهذا وحدة الوجود لأنه يصرح في أحد نصوص ثنائية الحق والخلق غير قابلة للانسحاب والامتزاج: «وأن الحقائق مشدة في ذاتها فالرب رب والعبد عبد والخالق بائن عن المخلوقات ليس في مخلوقاته شيء من ذاته» [3].

المطلب الثاني: فصول ومراحل التفسير:

وبعد هذا التقديم الأنطولوجي للنقطة في تفسير بسم الله الرحيم تأتي إلى طريقته وأصوله في تفسير بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تأتي إلى طريقته وأصوله في تفسيرها فنقول بأن الشيخ اللاوي قد ألزم المتصدي لتفسير القرآن الكريم بضرورة المرور على فصوله حسب ترتيبها (سنذرها لاحقا) لأنها سلم الارتقاء في

---

[1] –أحمد جاب الخير، أحمد عليوة المستغانمي، ص 311.

[2] –أحمد بن مصطفى العلاوي، منهل العرفان، ص 24، 25 وأنظر رزقي بن عومر، قضايا في التصوف الجزائري [الجزائر، ط1، دار لالا صفية، 2015]، ص 109-110.

[3] –أحمد بن مصطفى العلاوي، رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، تحقيق يحيى برقه [مستغانم، ط2، المطبعة العلاوية، 1992م]، ص 76.

الأسرار فليحسن الظن ما أمكنه ولا يفسرها يجد فيه على ما عنده لأن كلام الروح يباين كلام البّدن لأن أكثره حاء بلسان الخصوصية إلا ما كان من قبيل التوجّه والتّلقي من حضرة الله وقد ظهر للشيخ العلاوي ترتيب قوله في تفسير الآيات على الخطوات الآتية:

1- التفسير الذي هو المقصود العام (اعتبار ظاهر النص).

2-ذكر ما يستنبط من أحكامه.

3- المعنى الإشاري.

1-المقصود العام:

وسنأتي إلى ثبات هذا من خلال تعاطي الشيخ مع تفسير البسملة في سورة الفاتحة حيث يذكر أن افتتاح الكتاب العزيز بالبسمة فيه ما يشعرنا بلطف الله بعباده فيكون تاليها ذاكرا للاسم متبركا به من حيث قصد أم لم يقصد حب أم كره ثم أن الحكمة في مشروعيتها عند كل ذي بال يقضي يرفع امتياز .... حتى لا يبقى لأحد على الآخر لأن الأمم غير الإسلام قديما وحديثا إنما تتبرك بذكر ملوكها وأمرائها فلما جاء الإسلام أمر الشارع أن لا يذكر اسم عند فعل ذي بال إلا اسم الله وهذا هو المقصود العام عند الشيخ العلاوي [1] .

2-الاستنباط:

أما مرحلة الاستنباط تؤخذ منها الأحكام التالية:

-أثنى المولى عز وجل على عباده بالجمالية أكثر منها من صفة الجلال وهذا ما يستفاد من تصديره للاسمين الشريفين الرحمن الرحيم نعتا للذات.

-البون بين الاسمين الرحمن والرحيم واسعا إلا أن اشتقاقهما من صفة واحدة وإلا كان عطفهما من باب التكرار.

-الاسم هو عين المسمى وإلا لما صحّت الاستعانة به دون مسّماه الأي هو الله [2].

---

[1] - أحمد جاب الخير، أحمد عليوة المستغانمي، ص 20

[2] -أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور...، ص 32، 33.

3-الإشارة:

إن التصاق الباء وارتباطها باسم الجلالة يفيد ويشعر أن جمع الموجودات على اختلاف الحقائق وتباين الطرائق هو ملتصق بالله دون مماته لأنه قائم بالله لا بنفسه إذ وجود مستعار من وجود موجده على حد ما قبل.

من لا وجود بذاته من ذاته=فوجوده لولاه عين محال

وأما استطالة الباء وخروجها عن مقتضى عادتها فلأنها أول صورة ظهر بها الألف لعدم الواسطة بينهما فكان ما قارب الشيء يعطي حكمه فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى «وهذا ما يفسر أن الباء جاءت بأوصافه فالمقصود هو روح الوجود آدم الذي أمر الملائكة بالسجود له ولهذا كانت الباء في البسملة عظمتها عظمة الألف على غيرها في غير البسملة بمعنى أن نيابتها عن الألف المحذوفة من الاسم تشير إلى نيابة الوارث المحمدي عن الله في خلقه وهو نفس مقام مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام وهكذا جريا على هذا المنوال يفسر الشيخ العلاوي الحروف المتقطعة لسورة البقرة حيث يذكر أن الألف من اسم الله واللام من جبريل عليه السلام والميم من مُحَمَّد ﷺ إذا وصلنا الحروف ببعضها جاءتك الإشارة قائلة: ألم يكن ذلك الحق؟ بلى الله الذي أنزل الكتاب إلى مُحَمَّد بواسطة جبريل حيث كان القرآن متعلقا بالألف ثم اتحد مع اللام ثم استجمع في دائرة الميم واللام يشير إلى جبريل عليه السلام والميم من مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم حتى إذا وصلنا الحروف ببعضها جاءتك الإشارة قائلة: ألم يكن ذلك الحق؟ بلى الله الذي أنزل الكتاب إلى مُحَمَّد بواسطة جبريل حيث كان القرآن متعلقا بالألف ثم استجمع في دائرة الميم واللام يشير إلى جبريل لقربه من الألف من جهة الصورة لا من جهة الجر ...الانعطاف والميم تشير إلى مُحَمَّد ﷺ لانتمائه في دائرة العبودية فهو العبد على الحقيقة أما مجيء البسملة في ذروة الكتاب ورسمه يشير إلى ارتفاعه تعالى واستوائه على عرشه[1].

وأول اسم جاء بالبيان الرحمن ولهذا جاء وصفا لله في البسملة وهذا لسابقيته في الظهور عن بقية سائر الأسماء، هذه السابقية هي مناط حيازة الاستواء (الرحمن على العرش استوى) فهو السابق من جهة الاستيلاء دون غيره من سائر الأسماء الجلالية والجمالية وأما اسم الرحيم فهو آخر التنزيلات وأثره مستتر في

[1]-رزقي بنو عومر، قضايا في التصوف الجزائري، ص ص 114-116 وأحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور، ص 33.

آثار المخلوقات.

4-لسان الروح:

القاعدة في منهج الشيخ أن أرباب الحقائق لا يقفون مع ظاهر الألفاظ بل هم ناظرون لإشارة الأرواح ولذا فإن الضمير الساكن من خفضة وإمالة الباء فهو المؤول على ما يقتضيه السر المصون فلباء كان ما كان وبما يكون ما يكون فهي المعبر عنها بالقبضة النورية في ألسنة الصوفية فهي لسان القائل بحضرة القدم على لسان الباء للاسم الأعظم فبي اسم الله فأنت أظهرتني كما أنا أظهرتك ولما كانت الأفعال مظهرا للأسماء والصفات دون الذات التصقت الباء بالاسم دون المسمى الذي هو الله لتكون إشارتها عائدة عليه في الإظهار.

وقد اعتمد الشيخ العلاوي لسان الروح في بعض الآيات وليست جميعها وأحيانا يقتصر على جزء آية كما هو في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[البقرة: 152] حيث يذكر «إن العبد إذا أراد أن يجري ذكره على لسان الحق فليجد ذكر الله على لسانه فيكون ذاكرا بلسانين: ذاكرا لنفسه بلسانه ربه وذاكرا لربه بلسان نفسه فما أعظم ذاكرا وأحقر مذكور وما أحقر ذاكرا وأعظم مذكور ولا جرم إن قال الذاكر عند ارتفاع المستور أنا الذاكر المذكور» [1].

أنواع التفسير بالإشارة:

1-التفسير بالإشارة للألفاظ:

لقد سلك الشيخ العلاوي في تفسيره بالإشارة منهجا انتقائيا إذ لم يفسر جميع الآيات بل اقتصر على ما فتح الله عليه به لأن الأمر يتعلق بالفتوح والمواهب وليس بالانتماء والاجتهاد بل بالمجاهدة والتصفية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]

ينبه الشيخ العلاوي المعنى بعيدا عن الإطار الزماني والمكاني بحيث أشار إلى القيم الروحية والتعبدية لشعائر الحج ذاكرا أن الحج هو عبارة عن مرتبة يصل إليها العارف يتعذر الإفصاح عنها وخاصة عرفات فهي تعبر عن حضرة تتعطل فيها الحركات وتخشع الأصوات ولهذا عبر الشارع عن هذا الركن بالوقوف ولم

[1] – عوبيدي حبيبي، جهود أحمد بن مصطفى، ص 120

ينبه فيه تعالى عن ذكر ولا عمل وإنما نبه عما يفعل بعده ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾[البقرة: 199] أي بدل من ذكركم لا إله إلا الله لأنه ذكر السائرين لا الواصلين لأنهم عاينوا ذلك النفي في حالة الإستغراق[1].

2-التفسير بالإشارة للآية:

لقد أورد الإمام العلاوي ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة 198] لقد استقر عند العوام ان طلب الجزاء على الأفعال يعد من شرك الأغراض لأنه يتوجب قصد وجهه خالصا لهذا المشرب أبعد ما يكون عن ذوق المبتدئين ولذلك قال تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:198] أي تطلبوا ثوابا من ربكم على أعمالكم[2] .

الخاتمة:

في ختام بحثنا نصل إلى ما يلي:

-يعد الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي أحد اعلام المنظومة الذوقية التي تعاطت مع تفسير القرآن الكريم وفق ما يطلق عليه بالتفسير الإشاري.

-اعتمد التفسير الإشاري لدى الشيخ علي مسنى الإشارة والعبارة أو الباطن والظاهر.

- ارتكز الشيخ العلاوي في تفسيره على ضوابطه معرفية وذوقية أسماها الفصول.

-لقد تم الوصل بين البعد الانطولوجي وتفسير الحروف ليتحقق الانتقال من التدوين إلى التكوين.

-لقد اكتسى المعنى الظاهر من منطوق الآية قيمة واعترافا لم يتم اقصاؤه في مرحلة انتقاله للسان الروح في التفسير أو الحقيقة الإشارية.

---

[1] -رزقي بن عومر، قضايا في التصوف الجزائري، ص 117.

[2] - أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور، ص 182.

قائمة المصادر والمراجع:

1– مُحَمَّد بن عبد الباري، الشهائد والفتاوي فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي [تونس، ط1، المطبعة التونسية، 1925]

2- البحيصي عوض الله بن حسن مصطفى، من أعلام الإصلاح الديني الشيخ عدة بن تونس المستغانمي [مستغانم، ط1، المطبعة العلاوية، 1995م]،

3- لطرش عائشة، ملامح التصوف الجزائري [مذكرة ماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة الفلسفة]، ص 81.

(4–ابن منظور، لسان العرب [بيروت، لبنان، دار صادر]، ج5، ص 437.

(5–رفيق العجم، موسوعات مصطلحات التصوف الإسلامي [بيروت، لبنان، ط1، مكتبة لبنان]،

(6–مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن [مصر، ط3، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة]، ج2،

7- رزقي بن عومر، نادية درقام، الممارسة الدينية والسياسية في حياة الشيخ العلاوي [مقال بمجلة الحوار المتوسطية جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد التاسع، العدد 2ة، المجلد (3) العدد (1) 2020م]،

8 أسماء مسعودي، التفسير الإشاري وضوابطه عند الصوفية. تفسير سهل التستري أنموذجا [الأغواط، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، المجلد (3) العدد (1) 2020م]،

9- عويبدي حبيبي، جهود أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي [أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، قسم الحضارة الإسلامية 20-2021م]

-10- أحمد بن مصطفى العلاوي، مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، [مستغانم، ط3، المطبعة العلاوية، 1994]،

11- أحمد بن مصطفى العلاوي، رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، تحقيق يحيى برقه [مستغانم، ط2، المطبعة العلاوية، 1992م]

12-مُحَمَّد علي صابوني، التبيان في علوم القرآن [ط3، دار إحسان للنشر 2003م].

"13–بلحاج جلول، "المعالجة الصوفية للحقائق القرآنية عند المفسرين الجزائريين [مقال بالمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، 1441هـ-2019م] مج 15،.

(14–أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسحور في تفسير القرآن العلاوية، 1982]،

(15–نجم الدين الكبرى وعلاء الدين السمناني، التأويلات النجمية في التفسير الإشاري [بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 2009]،

16 رزقي بن عومر، نادية درقام، الممارسة الدينية والسياسية في حياة الشيخ العلاوي [مقال بمجلة الحوار المتوسطية جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد التاسع، العدد 2-